الانسان الاخير (١)

لسيد قطب

صحا ذات يوم حين تصحو البواكرُ   وتستيقظ الدنيا ، وتجلو الدياجر
ويشرق وجه الصبح في غمرة الدجى   كما تشرق الآمال واليأس غامر
وتضطرب الانفاس خفضها الكرى   وتخفق ارواح ، وتذكو مشاعر
وحين يعج الكون بالصوت والصدى   وبالكدح تزجيه المنى والمخاطر
وبالصرخة الهوجاء ، والضحكة التي   يضج بها الأحياء ، والدهر ساخر !

***

ولكنهُ لم يلف للكون نأمة   تنم على حيٍ ، ولم يهف خاطر
ففي نفسه ما يشبه الموت سكرة   ومن حوله موت تمته المقابر
جلالٌ كأن الله أطلعَ وجهه   عليه ، فقرّت في النفوس الضمائر
وصمتٌ فما في الكون صوت ولا صدى   ولا خفقة يُحيي بها الكون شاعر
فأدرك في اعماقه عن بديهة   نهاية ما صارت اليه المصائر !

***

وما همّ بالتنقيب عن اي صاحب   ففي نفسه يأس ، من النفس صادر
ولكنه التى بها عبرَ نظرةٍ   على الكونِ والأيام وهي دوائر
ركام واشلاء وأطلال نعمةٍ   وبؤسٍ ، وشتى ما حوته الأداهر
وفي نفسه من مثلها كل ذرّة   فهاتيك اشلاء ، وهذي خواطر !
تجمّع فيها ما تفرّق في الورى   وما ضمنت تلك السنون الغوابر
خلاصة اعمار ، وشتى تجارب   ومجمع اشواق بها الكون حائر

***

وأوغل في إطراقةٍ ملؤها الأسى   فمرّت عليه الذكريات العوابر
تحث خطاها موكباً إثر موكب   وقد جاورت فيها المآسي البشائر
وأقبلت الآمال واليأس حولها   تمزقها انيابه والاظافر
وجمّع فيها الخير والشرّ رابطٌ   من النفس مشدود إليها مخاصر

---

(١) من ديوان تحت الطبع يصدر اول يناير.

وشتى عبادات ، وشتى عقائد يؤلفها الايمان وهي نوافر [1]
وفيها من المجهول سرٌّ وروعة ورغبة محرومٍ وخوفٌ مساورُ
وقد كان في المجهول مطمح كاشف تحجبه عن طالبيه الستائرُ
فيا ليته يدري بما خلف ستره فيختم سفر الناس في الارض ظافر [2]

***

وعادت له الآمال اذ جدَّ مطمح يُرجّى وأذكاه الخيال المغامر
لعلَّ وراء الكون مفتاحَ لغزه وطلسمَ ما ضمت عليه السرائر
وما هي الاّ ومضة تكشف الدجى ويخلع هذا الجسم ، والجسم جازُ
ولولا مواثيق الحيـاة تشده اليها ، لأمضى عزمه وهو صابر
وخلّف هذا الجسم للموت والبلى وأشرق روحاً حيث تصفو البصائر

***

وعاوده حب الحياة لذاتها وقداجفلت تلك النوازي الكوافر [3]
وهاجت به الاطماع حبّ امتلاكها له وحـده والناس ميتٌ ودائر !
فعاد الى الدنيا العريضة مالكاً ولا من يعاديه ، ولا من يشاطر
ولـكنه لم يستطب ملكه الذي تمحض لا يسعى به او يغامر
وما فيه من كد ، ولا من تسابق ولا سابقٌ في الكادحين وقاصر
وليس يطيب العيش إلاّ تزاحماً فـيربح مجدودٌ ويخسر عاثر

***

هنالك دوّت في السماكين صيحةٌ دعاء لعزرائيل والكون سادر
«برمت بهذا الكون همدان موحشاً برمت بملك ربه فيه خاسر»
«فهيا اذن للموت أروح رحلة لتكشف استارٌ ويهدأ ثائر»

***

وفيما يعاني سكرة الموت رقرقت الى مسمعيه هاتفات سواحر
«هو السر : ان تهفوا الى السرّ لهفةً وان تشتروا الآتي بما هو حاضر»!

---

(١) مختلف العبادات والعقائد المتناقضة تجتمع عند عاطفة الايمان بالمجهول رغبة او رهبة (٢) ظافر بالسر الذي يبحث عنه الاحياء جميعاً فيما وراء المنظور (٣) النوازي الكوافر جمع نازية كافرة وهي التي كفرت بالحياة في نفسه ودعته ان يخلع الجسم